رواية

# دماء بقصر البارون

حمادة الكاشف

دار الزيات للنشر والتوزيع

دماء
بقصر البارون

# دماء بقصر البارون

الكاتب

حمادة الكاشف

دار الزيات للنشر والتوزيع

# إهداء

وأقسمت أني سأعطيك عمري

وأمحو بحبك كل النساء

وما تكرهين ....

وأن أسطر اسمك فوق السحاب

وفوق المياه...

وعين الغدير.

إليها..... زوجتي.

❋ ❋ ❋

الفصلُ الأول

ضباب كثيف، ورائحة مستنقعية كريهة انسابت في المكان جعلتها تضع يدها على أنفها بقوة.

شعرت أنفاسها بالضيق وبدأت تلتفت حولها في ذعر شديد وهي تسير بخطوات متعثرة، تخترق بعينيها الواسعتين الضباب السرمدي بلا فائدة.

وشق صاروخ من الضوء صفحة السماء الحمراء فكشف المكان عن لوحة من الرعب يعجز عن رسمها الرسام العالمي (جون هنري).

ويقف القلم بيدي أشهر كتاب روايات الرعب في العالم مطلقًا دويًّا أوقف قلبها للحظات عن النبض.

انعكس ضوء البرق كاشفًا عن قصر ضخم يقبع أمامها، انعكست عليه الظلال فظهر كوحش يمد يده لالتهامها.

تطلعت في حيرة إلى ذلك القصر الضخم وشعرت بشيء ما مألوف فيه.

صرخت عندما ارتطمت بشيء لا تدري كنهه ليرتطم وجهها بذلك الوحل القذر.

قفزت واقفة تجري لا تدري لها وجهة في الظلام الدامس، وأصوات الحشرات تطلق سيمفونية رعب يعجز بيتهوفن عن إبداع مثيلها.

ثم صوت يردد اسمها بحروف ممطوطة، فزاد فزعها وجريها والصوت يقترب ويقترب، حتى شعرت بأنفاس حارة كريهة تخترق حاسة الشم لديها، ومخلب حاد يتحرك على صفحة وجهها وكأنه يختبر قوتها ليؤلمها في قوة.

لم يكن معها إلا الصراخ وضيق الأنفاس وهي تلتفت حولها، ثم شعرت بالضوء يغشي عينيها وصوت أقدام تجري في سرعة، وسمعت صوت باب يفتح، وقل تأثير الضوء في عينيها لتجد أمها تجري نحوها في ولع شديد.

بدأت منى تتلفت حولها في ذهول وعيناها زائغتان لتتحقق مما حولها، لتجد نفسها في فراشها بغرفتها والأم تحدق إليها في شفقة.

وخط صغير من الدماء يسيل على وجهها، نابع من شق صغير وكأن هناك مخلبًا أصابها.

* * *

صرخ مأمور قسم مصر الجديدة في وجه الضابط الواقف أمامه في عنف قائلًا: إنه استهتار واضح يمكن أن يكلفك ما تبغيه من ترقية يا أحمد.

حاول أحمد الحديث ولكن قاطعته صرخة جديدة من قائده المباشر وهو يتحرك من خلف مكتبه وهو يقول:

لا تستطيعون منع مجموعة من الصبية من الدخول إلى ذلك القصر اللعين!

ران صمت واضح على الحجرة وأحمد يقف منتبهًا في حزم ينم عن قوة وصرامة، وهو ينتظر من قائده إكمال حديثه الغاضب.

جلس المأمور على أحد الكرسيين المقابلين لمكتبه وهو يقول في هدوء، واضعًا يده اليسري على وجهه مستطردًا:

استرح يا أحمد، اجلس.

جلس أحمد في المقعد المواجه لرئيسه منتظرًا منه إكمال ما بدأه، ونظر إليه المأمور كثيرًا وهو يقول:

أحمد إن تلك التصرفات غريبة عن مجتمعنا، وهؤلاء الصبية يدخلون إلى ذلك القصر الذي لا أعلم لماذا أبغضه ليقيموا حفلاتهم العبثية الشيطانية، وبدأت نبرات صوته تتعالى وهو يقول من بين أسنانه: وأنت تهاونت في حراستك ودخلوا مرة أخرى.

رد أحمد هذه المرة سريعًا وكأنه يخشى أن يقاطعة قائده:

سيدي كيف يمكن لضابط واحد واثنين من الجنود السيطرة على كل أسوار القصر، إنك تعلم مساحته؛ فهناك مئات النقاط التي يمكن العبور منها، ناهيك عن تلك الأصوات والأضواء التي تفزع الجنود وكأن القصر.... لم يكمل عبارته فقد واجهته عين قائده المستنكرة فأشاح بوجهه بعيدًا في يأس واضح.

نظر إليه المأمور وهو يحاول أن يفهم عبارته الأخيرة، سرعان ما أضاع تأثيرها، إن المأمور يعلم شجاعة أحمد وحرصه على عمله.

فيهز رأسه ببطء وهو يقول:

أنا أعلم كم المسؤولية، وكان من الواجب أن تكون هذه هي مسؤولية شرطة الآثار، ولكن هذا الأمر سنتولاه مؤقتًا حتى يصدر القرار بذلك، وحتى يصدر هذا القرار... صمت قليلًا ثم قال في قوة:

لا أريد أن تتكرر تلك الحفلات مرة أخرى. قال عبارته الأخيرة وهو يقف عاقدًا يديه خلف ظهره الذي أولاه لأحمد معلنًا نهاية المقابلة.

واتجه نحو الباب في سرعة ليوقفه صوت المأمور الصارم: لا تنس أن غدًا هو ميعاد تلك المجموعة الطلابية التي ستزور قصر البارون، أريد أن يمر الأمر بسلام، سيكون معك عشرة من الجنود ومساعد والضابط سمير.

زفر أحمد وهو يقف ثم قال وهو يرفع يده بالتحية العسكرية في قوة، مرددًا العبارة التي ميزت العسكرية المصرية منذ أمد العصور: تمام يا افندم.

الفصل الثاني

احتضنت السيدة رانيا ابنتها منى ودموعها تذرف:

– ما لك يا بنتي؟ ما لك؟

أما آن لهذة الأحلام أن تتوقف؟!

ألقت منى بنفسها في حضن أمها وقد ماتت الكلمات على شفتيها إلا من دموع منهمرة وشهقات متتالية.

كانت منى ابنتها الوحيدة انعكست الملامح الأوروبية على وجهها، مع مسحة من جمال شرقي واضح، جعلها صورة عالية الدقة من الجمال الحي الذي وهبه الله لبعض البشر.

أغمضت الأم عينيها وشعرت بتقلص جسدها وهي تسترجع ذكريات مر عليها أكثر من عشرين عامًا، حيث التقت والد منى في الأقصر.

كانت تقوم بتفسير مسهب وشرح واضح بلغة إنجليزية متقنة لمعبد حتشبسوت، ذلك المعبد الذي بني من 3500 سنة بالدير البحري بالأقصر، حيث عملها كمرشدة سياحية للأفواج المهمة بشركتها القابعة بالقاهرة.

لم تكن تشغل بالها بالروابط الرومانسية، وكانت قانعة بأن الزواج المباشر هو الطريق الصحيح للزواج، على الرغم من نوعية عملها التي تجبرها على التعامل مع العديد.

ولكنها رأته... شيء ما جذبها إليه.

شعرت كأنها رأته آلاف المرات من قبل، ربما في أحلامها أو ما تتمناه كل فتاة في عقلها فيتجسد على هيئة إنسان انعكست على ملامحه كل ما ترغبه امرأة في رجل.

كان واقفًا بعيدًا قليلًا عن مجموعة السائحين، ينظر إليها وابتسامة عذبة ساحرة تغطي وجهه انطلقت كسهم ساخن حاد اخترق تلك النقطة الضعيفة في جدار الحماية المعقد الذي وضعته كحماية على قلبها النسائي، كانت عيناه كنار إغريقية أذابت طبقة الجليد على مشاعرها.

تلعثمت رانيا وانحبست الكلمات في فمها فتوجهت إليها أنظار الوفد الأجنبي في صمت وترقب وهي تتطلع إلى نقطة ما خلفهم فأدهشهم الأمر ونظروا إلى الخلف في لهفة لتطالعهم ساحة المعبد الخالية إلا منهم.

انتبهوا مرة أخرى على صوت مرشدتهم ولكن هذه المرة جاء مترددًا، انسحبت منه تلك النبرة القوية الواثقة، مختلفًا قليلًا عن بضع دقائق ماضية، وإن لم يرع هذا انتباههم.

وتحركت في رشاقة وهي تجيب عن سؤال أحدهم حول الاسم الصحيح للمعبد، أهو حتشبسوت أم الدير البحري.

فأجابت في ثقة تنم عن تمكنها من تاريخ المكان:

- إن الاسم الحقيقي للمعبد هو معبد حتشبسوت، أما لقب الدير البحري فإنه يرجع للحضارة المسيحية التي أنشأت ديرًا بالمعبد وحوله فأطلق عليه الدير البحري.

توقفت الكلمات على لسانها مرة أخرى وهي ترى ذلك الشاب يظهر مرة أخرى مستندًا إلى أحد الأعمدة يطالعها بنظرات ممتدة طويلة فقطبت حاجبيها في غضب، وانسلت من وسطهم متجهة إليه مسرعة وسط دهشة الفوج السياحي حتى وصلت إليه وهي تقول:

- كف عن تتبعي بهذه الطريقة المريبة، ثم كيف دخلت في وجود فوج سياحي عالي الأهمية؟! هل أنت أحد الضباط المكلفين بالحراسة؟

رددت في عصبية:

– وإن كنت، فلم تنظر إليَّ بهذه الطريقة؟ ومن أنت؟

شعرت رانيا بالتوتر والخجل من كم الأسئلة التي رددتها دون أن تنتظر الإجابة، فران الصمت على المكان وهو يجيب بهدوء:

– إنه عملي، إنني الضابط المكلف بحراسة أحد الشخصيات المهمة الموجودة بالفوج.

التفتت إلى الفوج وهي تقول في حدة، إن حراس الفوج أعرفهم واحدًا واحدًا، قالت كلمتها الأخيرة وهي تعود بوجهها لتتوقفت الكلمات على لسانها!

فعندما التفتت واجهها العمود المصمت ولم يكن هناك أحد.

الفصل الثالث

- تعبت يا أمي.

أعادت العبارة السيدة رانيا مرة أخرى العالم الحاضر، فتنهدت في قوة وكأنها تخرج تلك الذكرى بأنفاسها الحارة.

ونظرت إلى عين ابنتها قائلة:

- إنها مجرد أحلام يا منى، ليس لها بالواقع صلة، تناسيها.

قالتها ولكن نبرتها خانتها، وقد خرجت الكلمات متعثرة، فهي نفسها قد يئست من إيجاد حل لما يحدث لابنتها..

فتلك الأحلام الغريبة تراود ابنتها منذ فترة ليست بالقليلة، لقد ذهبت بها إلى أكبر المتخصصين، وجاءت الأشعة والتحليل بإجابة واحدة..

(نشاط عقلي زائد) تلك الكلمة الشهيرة التي يفاجئك بها أغلب الأطباء النفسيين مع البعض من المصطلحات الإنجليزية أو اللاتينية التي لا تفقه منها شيئًا، وإن كانت تعطيك الثقة في ذلك الطبيب..

- هيا توضئي وصلي؛ فالصلاة خير معين لك يا ابنتي.

قالتها الأم وهي تساعدها على الوقوف..

تحركت منى في بطء وصوت ضجيج عالٍ يتزاحم في رأسها، وأصوات بعض الأحاديث في الشارع تنساب إلى عقلها في قدرة غريبة، لقد بدأ الأمر معها منذ عدة أشهر، عندما بدأت حوادث غريبة تحدث لها، وتغيرات أغرب، لقد كانت تسمع همس زميلاتها على بعد أمتار عديدة منهم في مدرج الجامعة، كما لو كان عقلها أصبح مغناطيسًا ضخمًا يشد إليه أصوات الناس.

ناهيك عن قدرات غير عادية امتازت بها عن قريناتها منذ صغرها، فاعتبرها البعض ذكاء شديدًا لا يلفت انتباهًا، فقد عرف العالم مثلها كثيرًا.

تذكر أنها كانت تقوم بحل كل المسائل المستعصية على زميلاتها، حتى كان المعلمون يتعجبون منها ومن قدرتها السريعة على الحفظ والفهم، وكأن ما تدرسه مخزون بعقلها من قبل.

أطالت السيدة رانيا النظر إلى ابنتها وهي تخرج من الغرفة، فأعادتها الوحدة مرة أخرى إلى ماضيها الغريب، وكيف التقت وتزوجت من

السيد مروان والد منى، والذي توفي قبل مولد منى بعدة أيام في ظروف أقل ما يمكن أن يقال عنها غامضة.

تطلعت السيدة رانيا شاخصة وقد انعكس وجهها على مرآة عتيقة معلقة على الجدار أعادتها لماضيها الغريب مرة أخرى.

* * *

دلفت الآنسة رانيا إلى مقر شركتها في سرعة وهي تلقي التحية الصباحية على من حولها، وتوزع الابتسامات الدبلوماسية على زميلاتها اللواتي نظرن إليها في حسد واضح.

ليس من الإنصاف أن نقول إنها كانت محبوبة من الجميع؛ ولكنها حصدت احترامهم الواضح لنشاطها في الشركة.

ارتقت سريعًا وأصبحت هي المرشدة التي تتولى الأفواج السياحية شديدة الأهمية من رجال الأعمال أو السياسيين.

قامت بتسليم تقريرها إلى مدير الشركة عن آخر فوج سياحي كانت معه، فقابلها المدير بابتسامة عريضة وهو يقف لتحيتها قائلًا:

- الجميع يثني عليك يا رانيا، هناك توصيات كثيرة باسمك من الفوج الأخير.

ردت رانيا في لطف:

- إنه عملي يا سيدي، ثم إن الشركة قد أعطتني ثقتها الكاملة، واعتمدت عليَّ، فهذا أقل ما أقدمه، وأنا مستعدة للفوج القادم.

ضحك المدير وهو يقول:

- أنت ماكينة لا تتوقف من العمل ولكن....

صمت قليلًا ثم قال:

- لا بد أن تستريحي يا رانيا، أنت تستنزفين قواك، والشركة تحتاج إليك، اذهبي إلى المنزل ونالي قسطًا من الراحة، أنت في إجازة لمدة أسبوع كامل.

رفعت رانيا حاجبيها في عناد واضح قائلة:

- لكني لم أقدم طلبًا بأي إجازة يا سيد أكرم!!

نظر إليها المدير رافعًا حاجبيه وقد شبك أصابعه في حزم وقوة قائلًا:

– أنت لست موظفة بالشركة؛ إن أباك رحمه الله قد أوصاني عليك، لقد خدم الشركة منذ أن كان أبي مالكًا لها، وليس معنى هذا أن أتركك تقتلين نفسك!!

انظري إلى نفسك، قاربت على الثلاثين ولم تتزوجي، رغم كل من تقدموا للزواج منك!

هدأ صوته وحمل كل حنان الدنيا وهو يقول:

– إني قلق عليك، أنت ابنتي، حتى عندما رفضتِ الارتباط بابني الدكتور أحمد لم أحمل ضغينة لك، فأنت مثله ابنة غالية عليَّ، ولكن لا أفهم تفسيرًا لما أنت فيه!

أشاحت رانيا بوجهها بعيدًا وهي لا تملك القدرة على الرد، فقد كان كل ما يقوله صحيحًا، ولكنها لا تعلم سببًا لذلك.

فعلى الرغم من أن العديدين حاولوا التقرب منها وطلب الزواج بها، ولكنها لم تكن تشعر نحوهم بما يمكن أن يحرك قلب المرأة تجاه رجل ما، ولا تفهم تفسيرًا لذلك.

إنه ذلك الحلم الغريب الذي يراودها عن ذلك الشاب الغامض الذي يظهر في أحلامها، وتكاد تقسم أن من رأته في الأقصر هو نفس الشاب، فكيف ترى إنسانًا قبل أن تراه و...

قاطع تفكيرها صوت السيد أكرم وهو يقول:

– لا تقلقي على الفوج القادم، سيتولاه الأستاذ أحمد، أنا أعلم مدى اهتمامك بذلك الفوج، اذهبي إلى المنزل وأرسلي تحياتي إلى والدتك.

وما إن خرجت رانيا من باب الشركة حتى اعتصرت قلبها برودة شديدة انسابت إلى باقي جسدها في سرعة، وكأنها في أقطاب الكرة الأرضية، فعلى الجانب الآخر من الشارع كان ذلك الشاب الوسيم واقفًا مرتديًا نفس الحلة السوداء، وعيونه السوداء الغامضة تتطلع إليها في هدوء.

شعرت رانيا بمشاعر مختلطة وهي تعبر الشارع مسرعة حتى كادت سيارة أن تدهسها، ثم وقفت قليلًا ليعبر ذلك الأتوبيس العتيق الذي تمتلئ به شوارع القاهرة التي تعاني من إهمال واضح لا يجرؤ معه أهلها

البسطاء أن يتحدثوا، أو أن يطلبوا من أصحاب المكاتب الفخمة أن يجدوا لهم حلًّا وسبيلًا.

وما إن عبر الأتوبيس حتى تحركت وهي تصرخ قائلة:

- سأطلب لك الشر...

لم تكتمل عبارتها فقد كان الجانب الآخر خاليًا، والشاب قد اختفى. والطريق يكاد يكون فارغًا إلا من سيدة عجوز، تجحظ عينيها بطريقة غريبة وتمد يدها تطلب إحسانًا..

# الفصل الرابع

ضحكت منى ببراءة على الرغم من كل ما يمر بها، وكأنها تناست للحظة تلك الأحداث والأحلام الغريبة التي تراودها.

وهي تقول لصديقتها هدى:

لست عالمة آثار، ولست من عبدة الشيطان، اذهبوا أنتم إلى ذلك القصر.

قالت هدى في سرعة:

سيكون يومًا جميلًا، بدأت تدور حولها وهي تضحك قائلة: أرجوك يا منى أرجوك هيا.

صرخت منى فيها وهي تبتسم:

حسنًا حسنًا سأذهب معكم.

* * *

وقف أتوبيس الجامعة أمام قصر البارون، وتطلع الشباب إليه من النوافذ في فضول ولهفة، بعد ما سمعوه عنه من حفلات عابثة وأحداث غريبة، وهم يتسابقون في النزول والاصطفاف أمام بوابته بناء على

إرشادات المشرف، وأوامر باتباع تعليمات الضابط أحمد، وأن يكونوا في تشكيل واحد ومجموعة واحدة حرصًا على سلامتهم.

بدأ المرشد المرافق للطلاب في سرد كل ما يعرفه عن القصر، والجميع يلتفت إليه في انتباه وهو يتحرك بهم من مكان لآخر.

ومنى غارقة في تأملاتها، تتحرك كالمنوم مغناطيسيًّا وهي تنظر في قلق وتوتر إلى القصر وجنباته، فهذا القصر شبيه بطريقة مفزعة بما تراه في أحلامها!

شهقت عندما مالت عليها هدى وهي تردد في خبث:

إن عينيه لم ترتفع عنك مذ جئنا، كما أنه يلازمنا تمامًا وكأن هذه هي مسؤوليته الوحيدة!

نظرت إليها منى وهو تقول في ضيق:

من تقصدين؟

التفتت هدى إلى الضابط أحمد وهي تبتسم ابتسامتها العابثة.

فالتفتت منى إليه وأدهشها نظراته الطويلة إليها، فأشاحت بوجهها في ضيق وهي تقول:

أنت تعلمين رأيي في تلك العلاقات، لا مسعى لدي إلا مستقبلي.

شعر الضابط أحمد بأن ما يدور بينهما هو محوره فشعر بالخجل وابتعد قليلًا ليقف تحت إحدى الأشجار مراقبًا الفوج.

مر الوقت سريعًا على الفوج، وبدأ الظلام يغزو ساحة النهار معلنًا فرض سيطرته على ما تبقى من اليوم، وبدأ المرشد المرافق يقوم بتجميعهم بعد أن تفرقوا جماعات تحت الأشجار.

وكانت منى جوار أحد الأبواب المغلقة للقصر تستند عليها وهي تراقب زميلاتها، لتواجهها أعين الضابط أحمد، فأشاحت بوجهها مرة أخرى وهي تحاول أن تفهم كيف لها أن تعرف ملامح ذلك القصر في أحلامها على الرغم من أنها لم تدخله من قبل! وهدى وزميلاتها منشغلون بأحاديثهم.

وخال إليها أنها سمعت خيالات حركة خلفها قبل أن ينفتح الباب فجأة لترتمي إلى ساحة القصر الداخلية ويغلق مرة أخرى.

لم يلحظ الأمر إلا الضابط أحمد الذي اندفع في عنف نحو الباب وهو يصرخ في جنوده بالإسراع.

صرخت منى في قوة بعد أن انغلق الباب عليها وهي تتراجع زاحفة إلى الخلف في سرعة وكأنها تريد أن تحمي ظهرها الخائف من عدو مجهول، ورأسها يتحرك في سرعة وهي تحاول أن ترى طبقات الظلام المتراكمة على عينيها دون جدوى، حتى ارتطم ظهرها بالحائط فألصقت وجهها بقدميها وأغلقت عينيها في قوة واضعة يدها على فمها وكأنه السبيل لحماية نفسها.

لم تكن تدري لماذا كل هذا الخوف من مبنى قديم والجميع خلف هذا الباب.

سمعت دقات الضابط أحمد ونداء زميلاتها المفزوعين جراء صرخاتها المتتالية، سمعت أصواتهم كأنها أصوات بعيدة مختلطة، وجحظت عيناها وتوقف تنفسها وبدأت أذناها كأنها مكبر ضخم يتحرك ليدقق السمع في تلك الخطوات الثقيلة الحذرة التي تقترب منها، فازدادت التصاقًا بالحائط وهي تقول بصوت ملتاع:

استيقظي يا منى، أنتِ في حلم، هيا استيقظي، ولكن لم يكن حلمًا.

كان حقيقة هذه المرة، كأبشع ما يكون من حلم!

اقتربت الخطوات منها، وخيل إليها أن شيئًا حادًّا يتحرك على صفحة وجهها الناعمة، وأعطى عقلها أمرًا لأطرافها بالتحرك والجري ولكن هيهات، فقد تسمرت كتمثال لحقته لعنة ميدوسا الإغريقية وأيقنت بالموت.

شعرت منى بخطوات أخرى مسرعة وأصوات ارتطام وكأن قتالًا يحدث بين اثنين، فقد كان وقع الخطوات مختلفًا.

وأضاع الفضول الأنثوي جزءًا كبيرًا من مخاوفها وهي تحاول أن تخترق تلال الظلام دون فائدة حتى سمعت خوارًا مخيفًا غريبًا يشبه ما يطلقه الثور عند ذبحه، ثم ساد هدوء غريب.

فبدأت تتحرك من مكانها وهي تقترب من الباب في حذر شديد.

لا تنظر وراءها، وأصوات طرقات قوية على الباب نابعة من مطرقة ضخمة يمسكها أحد الجنود يحاول تحطيمه من الخارج حتى لامست يداها ذلك الباب العتيق، حاولت الالتفاف للخلف دون جدوى وسمعت حركة خلفها فعاودتها شهقاتها الملتاعة وهي تصرخ في قوة هذه المرة وقد قارب جسدها على الانهيار مرددة: ماذا تريد مني، من أنت؟

من أنت؟

وفتح الباب فجأة ليندفع جسدها إلى الخلف في قوة جراء ثقل الجنود لترتطم بالأرض في قوة، وكان أول من أسرع إليها الضابط أحمد.

نظر الجنود متعجبين وهم ينظرون حولهم إلى تلك الساحة الجانبية للقصر، وأدهشهم ذلك الصراخ المتواصل منها منذ دقائق، فقد كانت الساحة خالية إلا من بعض الصور المعلقة، وتلك المرآة الضخمة، وبعض الأبواب المطلة على الساحة والتي تؤدي إلى الممرات الداخلية إلى باقي القصر.

لم تستطع منى رفض أن يحملها أحمد في خفة كعصفور صغير وهو يبدو فزعًا قلقًا، ولكم أدهشها شعوره، ولم تكن لديها القوة اللازمة للرفض أو الامتناع، فاستجابت لأن يحملها حتى سيارته وهو يطلب من زميلتها هدى أن يرافقهم ويوصلها بنفسه إلى منزلها، بعد أن استأذن مشرف الرحلة.

الفصل الخامس

تقدمت منى بخطوات حذرة بطيئة، وصوت تحطم الأغصان يزيد الأمر فزعًا وهي تحاول أن تجد لها مكانًا ومخبأ في ذلك المجهول. بدأت تسرع خطواتها لتسبق تلك الخطوات التي تتبعها ببطء وكأن صاحب الخطوات يتعمد أن يبث الرعب في أوصالها أكثر فأكثر عندما يعطيها حبل نجاة بين الفينة والفينة ليلهو بها كما تلهو الذئاب بفرائسها..

لاح لها الأمل وسط ذلك الظلام، قصر بعيد تضاء فيه نافذة مستطيلة وحيدة، فلهثت وهي تجري للوصول إليه.

اقتربت منها الخطوات وهي تحاول عابثة الهرب حتى اقتربت من بوابة صغيرة تطل على حديقة هزلت أشجارها وأصبحت عارية من الأوراق.

والريح تعصف بالورق الميت الأصفر، ودوامة صغيرة من غبار متصاعد، فتحاول جاهدة أن تفتح عينيها والأتربة تغزو بقوافل شرسة تلك الفتحتين الصغيرتين بوجهها.

وصوت نعيق البوم ينساب إلى أذنيها فيبيد ما تبقى من إرادتها الضعيفة.

وكأن الخطوات هي الأخرى تخشى القصر فتوقفت فجأة فلم تعد تسمعها، وران صمت مطبق على المكان، فهدأت قليلًا وهي تقترب في حذر من باب القصر الضخم، وشعرت بأنها قد رأت القصر من قبل في ذكرى مشوشة غير مفهومة.

مدت يديها لتقرع تلك الرأس الحديدية، وفجأة صرير ضخم وأصوات تتعالى، انفتح باب القصر وحده، وتلك الأصوات تتعالى بصوت رتيب في بحة مفزعة، وهي تردد العاشرة.. العاشرة.. العاشرة.

وامتدت يد أمسكتها بقوة بوجة غائر مخيف: أنت العاشرة!

صرخت منى وسحبت ذراعها في قوة وهي تجري مبتعدة واضعة يديها على وجهها، وقد علا المكان ضوء شديد حجبها عن الرؤية، أعادها إلى عالم الواقع.

ففتحت عينيها لترى وجه أمها الباكي، وعلى يديها كانت المفاجأة المفزعة!

* * *

نظرت منى إلى حيث تنظر أصابعها، فشهقت في صوت مكتوم وران صمت مخيف على الحجرة، والاثنان يتطلعان إلى آثار أصابع طويلة تلتف حول معصمها..

وأسرعت الأم قائلةً:

- ربما حرقتِ نفسك في المطبخ قبل نومك، خرج صوتها هزيلًا ضعيفًا يعكس عدم تصديقها لما تقوله، ومنى ترتجف في قوة وتحكي في أنفاس مترددة لاهثة تفاصيل ما عانته في ذلك الحلم المخيف.

تطلعت منى في حزن إلى صورة معلقة على الجدار لشاب في الثلاثين من عمره تبدو على ملامحه القوة، والتي لم تخفِ وسامة واضحة، صورة أبيها السيد مروان، الذي توفي منذ ما يقرب من عشرين عاملًا قبل ولادتها بعدة أيام.

وهي تقول في لوعة:

- لماذا تخليت عني يا أبي؟ لماذا؟

كانت تربطها بأبيها علاقة غريبة لم تفسرها، على الرغم من موته قبل مولدها، ولم تجد لهذا تفسيرًا سوى أنها ليس لها أخ تعتمد عليه، فنالت

العاطفة الأنثوية من الذكرى الرجولية الوحيدة التي تسعد بها، ذكرى أبيها.

احتضنتها السيدة رانيا وضمتها بقوة وهي تقول:

– ما زالت أمك جوارك يا حبيبتي، ولو كان حيًّا كان ليحبك كثيرًا.

التفتت منى إليها قائلة:

– لماذا لا يزورنا أقرباء أبي يا أمي؟ ولماذا لا نذهب إليهم؟

أشاحت السيدة رانيا بوجهها بعيدًا، وكاد لسانها يفصح أنها هي نفسها لا تعلم قريبًا لزوجها مذ عرفته، ولكنها آثرت الصمت وهبت واقفة وهي تقول:

– سأحضر لكِ عصير ليمون يهدئ من أعصابك، وتركتها وسط عاصفة من القلق والتساؤلات.

كانت الأم دائمًا تتهرب من هذا الأمر، وكأن هناك سرًّا غامضًا لا ينبغي لها أن تعرفه. كانت منى تتمنى لو أن أباها السيد مروان حي. أو أن يكون لديها أخ حتى وإن كان أخًا يفرض رجولته الصغيرة على أنوثتها كعادة كل الإخوة مع أخواتهم.

قامت من فراشها مرتدية ذلك الثوب الأبيض المخملي. وتطلعت من النافذة وهي ترى القاهرة من شرفة منزلهم الذي يقع بتلك التبة العالية بجبل المقطم، وشعرها الأحمر الناري يتحرك مع النسيم ليعطيها جمالًا ربانيًّا جذابًا، قلَّ أن ينعكس على وجه امرأة في زماننا هذا!

وهي تحاول أن تجد تبريرًا لما يحدث معها دون فائدة.

زفرت في قوة وهي تتطلع إلى نفسها في المرآة، المعشوقة الأولى لفتيات هذا الجيل، عندما بدأ ذلك الخفيف يتصاعد خارج نافذتها فالتفتت في سرعة إلى الخلف مذعورة وقلبها يدق في قوة.

حاولت بعينيها اختراق ما خلف تلك الشجرة القريبة من نافذتها، وخيل إليها أنها لمحت ظلًّا سرعان ما اختفى خلف تلك الأجمة من الأشجار المتتالية، التي برزت وكأنها أشباح عملاقة، أضاف إليها الظلام قدرًا من التشكيلات المخيفة، ودققت النظر محاولة اختراق حجب الظلام، ولكنها لم تلحظ إلا أوراق الأشجار تتحرك مع النسيم.

نهضت في ضيق من كثرة تخيلاتها وأغلقت النافذة في عصبية وتقهقرت ببطء وقلبها يخفق حتى التصقت بالمرآة وأغلقت عينيها في قوة

وكأنها تستجمع شجاعتها وهي تردد لنفسها أنها تخيلات، نعم أنا أعرف أنها تخيلات، ظلت عدة دقائق وهي ثابتة متحجرة كأحد التماثيل الإغريقية الوثنية، التي تشكل آلهة الجمال عندهم، وبدأت أنفاسها تهدأ وتعتدل نبضات قلبها.

وشهقت فجأة واضعة يدها على فمها عندما بدأ ذلك الحفيف يتصاعد، فاقتربت من النافذة في بطء وحذر وقلبها ينبض في قوة وهي تدير تلك الحلقة المعدنية في بطء شديد يتهاوى مع دورانها كل ما تبقى بها من قوة تساعدها على الوقوف، ولكنه ذلك الفضول الذي يسيطر على كل تلك المخلوقات الحية، والذي يجعلها تندفع نحو موتها لا لشيء إلا المعرفة.

امتدت رأسها تتطلع خارج النافذة كفراشة تهوي بنفسها نحو كل ما يضيء لتلقى حتفها حتى قبل أن تعرف ما فعلت ولماذا فعلت!

شق صراخها سكون الليل...

فهناك في حديقة القصر حيث بقايا من ضوء منعكس من المنزل ينساب بين الأشجار، كان واقفًا هيكل ضخم وذراعان طويلان ووجه

أسود نحيف لم ترَ من وجهه إلا حدقتين بلون أحمر مخيف، يتطلع إليها في قسوة، فارتدت إلى الوراء لتتعثر في المنضدة وتقع أرضًا، لترتطم رأسها بالمنضدة قبل أن تطلق صرختها الثانية العالية وتفقد الوعي.

هبت السيدة رانيا مسرعة عندما سمعت صراخ ابنتها لتجد منى ملقاة على الأرض، فاقدة للوعي، والنافذة مفتوحة تطلق هواءً باردًا يبعث الرجفة في الجسد في ذلك الشتاء البارد، فأغلقت النافذة وأسرعت، فحملت ابنتها ووضعتها على السرير ثم أسرعت فزعة واتصلت بالطبيب المعالج الذي لازمهم قرابة عشرين عامًا، منذ تلك الأحلام الغريبة التي سبقت وكانت تحلم بها حتى توقفت من تلقاء نفسها..

* * *

ربت الطبيب العجوز على كفي منى الرقيقتين وهو يلتفت إلى الأم المفزوعة، وطمأنها بكلمات قليلة بثت شيئًا من الراحة في أوصالها الملتاعة على ابنتها الوحيدة.

تطلعت السيد رانيا إلى الدكتور مؤيد بعيون خاوية ملأتها الدموع وهي تقول: أما من نهاية لتلك الأحلام يا دكتور مؤيد؟

هل يكون موت أبيها في تلك الحادثة المشؤومة أو....

اختنقت الكلمات بين شفتيها وهي تشيح بوجهها بعيدًا.

نظر إليها الطبيب العجوز وهو يقول:

- لا تفقدي ثقتك بالله يا ابنتي، فرحمته لا يسعها تفكير بشر، لقد قلت لك إنه نشاط زائد في عقلها يفسره ذلك التفوق الفريد في دراستها وقدرتها السريعة على الحفظ..

ثم هز رأسه في حيرة وهو ينظر إلى تلك الآثار المنطبعة على معصمها قائلًا:

- ولكني لم أر مثيلًا لما يحدث مع منى في أي من مراجع الطب العالمية ومحللي النفس المشهورين بتفردهم في فهم النفس البشرية!

تنحنح الطبيب وكأنه يبدأ محاضرة في قاعة الدراسة بالجامعة وهو يعدل نظارته مستدركًا:

- قد تكون هناك بعض التفسيرات التي يمكن أن تظهرها لنا الحضارة الصينية التي تؤمن بأن النفس تتكون من (الهوين) و(البو)،

والهوين قادر على نقل الإنسان عبر المكان والزمان عن طريق ذكرياته حتى ملاقاة الأموات عبر الأحلام.

كما إن هناك نظريات مثل نظرية المحلل النفسي (كارل غوستاف) يقول فيها: إن أحلامنا ذكرى موروثة لأجدادنا تنتقل إلينا عبر الجينات الموروثة.

قالت السيدة رانيا في فضول:

- ولكنك تقول إنها مجرد تحليلات!

أومأ الدكتور مؤيد برأسه وهو يوافقها فيما ترمي إليه، ولكنه أكمل كلامه وقلب شفتيه في امتعاض، لأن السيدة رانيا لم تجعله يكمل ما يريد.

ثم استدرك متحدثًا في سرعة:

- ولو تابعتِ كتاب (عالم الأحلام) لسيجموند فرويد لوجدتِ أنه يرى أن الأحلام تكون رسائل موجهة إلينا من ذواتنا، أو أحبائنا الذين يملكون نفس الجينات.

ثم زفر في حيرة وهو يهز رأسه، ولكنها تأتي رموزًا لا أحلامًا كاملة بهذا الشكل..

فجأة تبدل شكل الدكتور مؤيد وهو يحدق في نقطة عمياء خلفها.

توترت السيدة رانيا في مجلسها والتفتت خلفها في سرعة لتواجهها النافذة المطلة على الحديقة، دون أن يكون وراءها غير حركة الأغصان، فارتدت ببصرها للدكتور مؤيد الذي بدأ يجمع حاجياته في سرعة، والسيدة رانيا تسأله في حيرة:

- ماذا بك يا دكتور مؤيد؟!

لم تجد ردًّا منه وهو يحمل حقيبته مسرعًا تجاه الباب، وهو يكاد يقسم أنه رأى هيكلًا غريبًا خارج النافذة يتطلع إليه بعيون حمراء مشتعلة!

فجأة تبدل شكل الدكتور مؤيد وهو يحدق في نقطة عمياء خلفها.

توترت السيدة رانيا في مجلسها والتفتت خلفها في سرعة لتواجهها النافذة المطلة على الحديقة، دون أن يكون وراءها غير حركة الأغصان، فارتدت ببصرها للدكتور مؤيد الذي بدأ يجمع حاجياته في سرعة، والسيدة رانيا تسأله في حيرة:

- ماذا بك يا دكتور مؤيد؟!

لم تجد ردًّا منه وهو يحمل حقيبته مسرعًا تجاه الباب، وهو يكاد يقسم أنه رأى هيكلًا غريبًا خارج النافذة يتطلع إليه بعيون حمراء مشتعلة!

الفصل السادس

دلفت رانيا إلى منزلها بعد عودتها من زيارة إحدى زميلاتها في العمل، وسمعت صوتًا يضحك في هدوء وهو يتحادث مع والدتها العجوز فقالت وهي تغلق الباب:

– من ضيوفنا في المنزل يا أطيب أمهات الدنيـــ...!!

انحبست الكلمات على أطراف شفتيها فأبى فكاها أن ينفتحا ليعطيا كلمة الدنيا معناها وهي ترى ذلك الشاب الغامض يجلس في الكرسي المقابل لوالدتها، ويحدثها كأنهما من أسرة واحدة، وكأن الأم تعرفه من زمن بعيد، فقطبت حاجبيها الجميلين في غضب وهي تقف صامتة لا تستطيع أن تجد تفسيرًا لتلك المشاعر المتضاربة لرؤية ذلك الشاب في منزلهم، بكل تلك الجرأة والهدوء الظاهرين عليه.

تنحنحت السيدة العجوز وهي تنظر إلى ابنتها قائلة:

– ليس من الذوق أن تستقبلي زملائك في العمل بهذة الطريقة، إن الأستاذ مروان ينتظرك منذ فترة طويلة.

ثم نظرت إليه في حب وهي تقول:

- إنه طيب القلب يا ابنتي، عل الله أن يهديك، في إشارة واضحة لتمنيها لزواج ابنتها الوحيدة.

فأسرعت رانيا قائلة في كلمة واحدة تحذيرية لما تقوله أمام ذلك الشاب الغامض: أمي!!

رددت الأم سريعة وهي تتجه إلى المطبخ قائلة:

- سأحضر لكما العشاء لتأكلا سويًا.

ردت رانيا بصيحة مستنكرة وهي تضغط أسنانها بشدة: عشاء!! والتفتت في غيظ إلى الشاب وهي تستنكر منه صمته واستجابته الصامتة لعرض السيدة العجوز.

ران صمت على المكان قطعه مروان بعبارة زلزلت كيانها ودفعتها لدوامة من العجب والذهول والفرحة والغضب:

- رانيا هل تقبلين الزواج منى؟

بهتت رانيا من جرأة الشاب، ولكنها لم تتهمه بالجنون ولم تطرده خارج منزلها، فهي لا تعلم عنه شيئًا، ولو تكرر ذلك المشهد في مشهد

سينمائي لسخرت ألف مرة من غباء كاتبه. واستخفت بقدرة المخرج على إخراج مشهد ضعيف بهذه الصورة.

دق قلبها بقوة وصمتت لا تفعل شيئًا غير الاستماع وهو يحكي لها عن رؤيته لها، وشعوره حيالها، لم تكن تسمع شيئًا، مجرد أنها تتطلع إلى عينيه وهو منهمك بالحديث والحكي عن الظروف التي رآها فيها.

اختتم حديثه قائلًا في بطء:

– لك أن تتعجبي مما يحدث، ولكني أريد منك أن تعرفي شيئًا واحدًا هي مشاعري نحوك.

ردت منى في سرعة:

– ولكني لا أعلم عنك سوى أنك بدأت معي بأكاذيب، لا تنسَ أني تأكدت من أنك لست من حراس الأمن، لقد بحثت جيدًا وتأكدت من هذا.

ابتسم مروان في لطف مجيبًا:

– ولكني لم أكذب عليكِ، فأنا بالفعل أعمل في مجال أمني شديد السرية والخطورة، وقد أقسمت على الولاء والسرية.

تناست رانيا كل شيء وكل التساؤلات ومر الأمر بطريقة أغرب من أن توصف.

ونظرت إليه وهي تقول مقطبة:

- وكيف أقنع والدتي وأهلي بالزواج من إنسان لا يعلمون عنه شيئًا؟!

رد مروان في سرعة:

- أمك تعلم الآن عني ما يكفي لإقناعها بإتمام الزواج.

ثم اقترب منها وهو يمسك يديها وهي تقسم في نفسها أنها حاولت الرفض وأعطت لعقلها القرار ولكنها وجدت يديها بين يديه الدافئتين وهو ينظر إليها قائلًا: إنه مصيرنا لنلتقي.

لم تمر أيام قلائل إلا وقدم مروان كل ما أزاح الشك والخوف من قلبها، لينال كامل ثقتها في حبه لها.

وقدم كل ما طمأن أسرتها التي تسعى لراحة ابنتها، فقد كان يملك فيلا صغيرة بحي المقطم، سرعان ما أحضر عقد ملكيته وهو يقول:

- هذه الفيلا هديتي لك.

رفعت رانيا حاجبيها وهي تتأمله في صمت وحب واضحين، وهي تقول في خفوت وخجل: كيف أمكنك أن تحبني خلال هذه الفترة الصغيرة كل هذا الحب؟!

نظر إليها مبتسمًا وهو يردد:

- لم أر في هذا الكوكب كله أحدًا مثلما رأيتك.

تطلعت إليه في حيرة وقد استرعتها العبارة وأدهشتها، ولكنها سرعان ما اختفت بالحديث عن الاستعداد للزواج.

الفصل السابع

مر أسبوعان على ما حدث لمنى في المرة الأخيرة، وبدأت علامات الأصابع على معصمها تختفي، وبدأت الأمور تستقر قليلًا، لم يروعها خلالها حلم، أو يخيفها شيء، فنسيت ما يحيط بها وقررت الاستجابة لضغوط صديقاتها في تمضية يوم بعيد عن الكتب والمحاضرات ومسؤوليات الجامعة.

كانت هدى زميلتها بالجامعة من إحدى القرى الصغيرة المطلة على بحيرة قارون بمحافظة الفيوم، هناك حيث قرروا قضاء ذلك اليوم.

تحركت بهم السيارة وجلست منى بجوار النافذة تتطلع للطريق وهي تمسك زهرة وردية على شكل قلب نازف.

فقالت هدى عابثة كعادتها:

- ألن تخبريني عن ذلك العاشق الذي يترك لكِ تلك الورود؟

ردت منى في حيرة وهي تجيب:

- انضمي إليَّ في السؤال عن قائمة طويلة لألغاز وأسئلة لا تنتهي عن حياتي يا هدى!

ما زلت لا أعلم من يقوم بإرسالها إليَّ بين الحين والآخر بانتظام وإلحاح ولا يتوقف، التفتت إلى هدى وهي تقول:

- الغريب أنني بحثت عن هذه الورود ولم أجد لها مثيلًا في مصر ولا تزرع إلا في اليابان وأندونيسيا..

قالت هدى في عبث وهي تضحك:

- إذن سنسميه العاشق العالمي!

قهقهت باقي الفتيات على عبارة هدى فابتسمت منى وقد تناست التساؤلات التي تدوي بعقلها الحائر.

وصلت السيارة وأنزلوا حقائبهم واتجهوا نحو منزل هدى، وتناولوا الغداء وسط ضحكاتهم من تعليقات هدى الدائمة، وشربوا الشاي واتجهوا لبحيرة قارون وهم يتعابثون، وهدى تقلد منى حين تكون منهمكة في القراءة وهي تتصنع الجد والاهتمام على وجهها، حتى نهرتها منى بابتسامة عريضة.

شغلتهم البحيرة بجمالها عن كل شيء، وانشغلت منى عنهم قليلًا بذلك المنظر الخلاب قرب غروب الشمس، وأخذتها أفكارها حول

أحلامها المروعة حتى انتبهت فجأة إلى انتشار الظلام، وأنها ابتعدت كثيرًا عن الفتيات، وتلفتت حولها في فزع وهي تسرع الخطا للعودة إلى حيث صديقاتها، وهي لا تكاد تتبينهم لولا تلك الأضواء الخافتة المتقطعة التي تطل من تلك الأعمدة، باهتة سخيفة بين عمود وعمود آخر قد تلف مصباحه، فلم يهتم المسؤولون باستبداله في مظهر من مظاهر إهمال الدولة لمزاراتها السياحية.

انعكست تلك الأضواء لتعطي ظلالًا على الأرض يراها كل مفزوع حسبما صور له عقله من مخاوف مدفونة داخله.

أسرعت الخطا أكثر وهي تكاد تنكب على وجهها بعد أن التقطت أذناها أصوات خطوات ثقيلة تكاد تقسم أنها وقع الخطوات التي تأتيها في أحلامها!

فجأة توقفت وانحبست كلماتها في سجن الصمت الأبدي وهي تحدق أمامها في حدة وتخترق بعينها حاجز الظلام لتتبين هيكلًا تحت أحد الأعمدة المطفأة!!

كان هيكلًا ضخمًا له نفس الذراعين الطويلين، تراجعت بضع خطوات إلى الوراء وظل الهيكل متوقفًا وكأنه ذئب يدرس فريسته قبل أن يهجم عليها.

ثم تحرك الهيكل في سرعة لينكشف وجهه تحت أضواء العمود التالي، ثم يعود للاختفاء ويبرز هيكلًا مخيفًا تحت ظلام العمود الذي يليه.

صرخت بصوت عال وهي ترى أحلامها تتحول لواقع مخيف وأطلقت لساقيها الريح تحاول يائسة أن تهرب من ذلك الكائن الغريب، وقد خلا الشارع من المارة بعد أن نال الكساد السياحي من كل أراضي مصر المحروسة، فعبرت الشارع جارية وراء الأضواء المنبعثة كأن الضوء هو منقذها من جلادها المخيف.

اختبأت خلف إحدى الأشجار واضعة يدها على أنفاسها اللاهثة وأغلقت عينيها وهي تلتصق بتلك الأجمة من الأشجار حتى كأنها جزء منها.

سمعت صوت الخطوات الثقيلة يقترب منها وبدأت الخطوات تتباطأ والمخلوق الغريب يدير رأسه حتى وقعت عيناه على تلك الأجمة

من الشجر، فاقترب منها في بطء وكأنه يشتم رائحة الخوف المنبعثة من أوصالها.

بدأت الخطوات تقترب وصوتها يعلو ويعلو ويعلو فلم تستطع كتم شهقة قوية غالبتها وخرجت وخرج معها رعبها وفزعها بصورة مكتومة، التقطتها أذن ذلك الكائن الغريب فأسرع إلى مصدرها.

حاولت الهرب والجري ولكن الفزع تملكها وسمر قدميها اليائستين.

فوجئت بوجهه المخيف فأطلقت صرخة عالية وأمسكها المخلوق ورفعها بذراع واحدة وهو يتطلع إليها بعينين مشتعلتين ملأتا قلبها رعبًا فأغمضت عينيها وهو يغمغم بكلمات لم تفهم منها شيئًا.

ثم برزت مخالبه بصورة مخيفة وهو يرفع يده عاليًا ليهوي على جسدها، فأغمضت عينيها مرة أخرى وانتظرت الموت.

فجأة لمع ضوء غريب وارتطم شعاع بظهر الكائن وسمعته يصرخ بفحيح مخيف وهو يخر على الأرض جاثمًا بثقله فوقها، وارتطمت رأسها بحجر وغامت الدنيا بين عينيها وهي ترى رجلًا يقترب منها في سرعة وغابت عن الوعي.

استيقظت منى وهي تشعر بألم شديد في مؤخرة رأسها، وأخذت تتلفت حولها لتفاجأ بهدى وزميلاتها وبعض الريفيين يحيطون بها ويتطلعون لها في قلق يبرز معدن المصري الأصيل الذي يسرع لنجدة الغير وقت الحاجة.

وأردفت هدى في قلق واضح وصوت خرج متلعثمًا: لقد كدت أموت قلقًا عليكِ، تلفتنا حولنا فلم نجدك، ثم سمعنا صوت صراخك فبدأنا البحث عنك ووجدناك هنا فاقدة الوعي.

قالت منى وهي تستند على ذراعيها وتتلفت حولها بحثًا عن جسد الكائن:

– إنه ذلك الكائن الغريب الذي أراه في أحلامي لقد....

توقفت عن الحديث فجأة عندما تلفتت ولم تجد جثة الكائن الغريب، وعندما لاقتها عيون القرويين التي نظرت إليها في شفقة ملتاعة.

فتحركت ووراءها الفتيات في حيرة من أمرها، وعيون القرويين تشيعها بعيون ملأتها الشفقة والحزن وهي تقول لهدى:

– من الأفضل أن نسرع بالعودة حتى لا تشعر أمي بالقلق.

وران على طريق العودة الصمت، لا شيء إلا الصمت!

* * *

استقبلت السيدة رانيا ابنتها في لهفة شديدة قوبلت بصمت شديد، وأسرعت منى مسرعة إلى حجرتها، فالتفتت السيدة رانيا إلى هدى في تساؤل، فحكت لها هدى ما حدث واستأذنت في الانصراف بعد أن اطمأنت على توصيل منى حتى منزلها فشكرتها السيدة رانيا وطلبت منها المبيت فردت هدى قائلة: كنت أتمنى أن أبقى حتى أطمئن على منى ولكن أبي يكاد القلق يعصف بقلبه، سأمر عليكم في الغد بإذن الله.

اقتربت السيدة رانيا من حجرة ابنتها ولكنها وجدت الباب مغلقًا ففضلت أن تتركها تستريح وتحادثها غدًا.

استيقظت منى من نومها بوقت متأخر، وقد قاربت الشمس على الغروب ففتحت حجرتها وألقت التحية على أمها واقتربت منها واحتضنتها في قوة وهي تقول لا تغضبي مني يا أمي، لم أكن في حالة تسمح لي بالكلام البارحة.

التفتت إليها السيدة رانيا وهي تقبل يديها في عطف شديد قائلة:

- لا أغضب منك أبدًا يا ابنتي..

جذبتها الأم من يديها واتجهت إلى غرفة نومها وهي تقول لها:

- تعالي سأريك شيئًا من ذكرى أبيك.

جذبت العبارة منى فتحركت وراء والدتها وقلب يدق في قوة.

اتجهت الأم نحو دولابها وأخرجت صندوقًا صغيرًا فتطلعت منى إليه في لهفة.

وفتحت الصندوق الأم وأخرجت منه قلادة غريبة الشكل تنتهي بدائرة في وسطها رسم مجسم لطائر غريب الشكل، وقدمت القلادة لمنى وهي تقول:

- لقد تبقى على عيد مولدك يومًا واحدًا، ولا أرى خطأ في أن أعطيك تلك الهدية اليوم، لقد أعطاني إياها أبوك وطلب منى أن أحرص على إعطائها لك في عيد مولدك العشرين. كنت أحبه كثيرًا يا ابنتي، عشت معه عامًا واحدًا، كان أحرص ما يكون على إرضائي.

تنهدت وشبح ابتسامة يظهر على وجهها وكأنها تستمتع بالحديث عن تلك الذكرى، ثم صمتت قليلًا وأكملت وهي تنظر إليها: إنك تشبهينه كثيرًا.

قالت منى مبتسمة وهي تنظر إلى أمها:

- وكيف جاء تعارفكما؟!

بدأت الأم تروي كل شيء لابنتها، ومنى يتسع فمها ويرتفع حاجباها في أشكال غريبة لا تصدق ما حدث بينهما.

حتى قالت الأم:

- ثم جاء النبأ المشؤوم بموته قبل ميلادك بعدة أيام، وقيل إن جسده احترق بالكامل في الحادثة، ولم أحك لكِ ما حدث حتى لا تشعرين بالأسى على أبيك، أبلغتك بموته دون أن أحكي لكِ شيئًا آخر، ثم إن أباك...

لم تكمل عبارتها وانتفض قلبيهما في فزع وخوف عندما بدأ صوت فحيح غريب يتصاعد من خارج الحجرة، وأصوات أقدام ثقيلة أعادت لمنى ذكرى ذلك الكائن الغريب.

سيطرت السيدة رانيا على رهبة الموقف وأسرعت وأغلقت باب الحجرة في إحكام وهي تقول:

- لن ينالوا منك يا صغيرتي لا تخافي..

التصقت منى بالجدار وهي تستعيد ذلك الشكل المخيف مرة أخرى، وبدأت الطرقات تتزايد على الباب ومنى تصرخ بصوت عال و.... انهار الباب ليظهر ذلك المخلوق وكأنه بعث من الموت مرة أخرى وهو يشير إليها بأصابعه المخيفة وعينه وكأنها قد ازدات اشتعالًا..

نظر طويلًا إلى السيدة رانيا ثم تحرك في خطوات سريعة نحو منى التي التصقت أكثر فأكثر بالحائط، فاقترب منها وأنفاسه الكريهة ترتطم بوجهها فتزيدها رعبًا.

صرخت السيدة رانيا وهي تهوي على ظهر الكائن بتمثال صغير من النحاس وارتطم التمثال بظهر الكائن وطار من يديها دون أن يحرك شيئًا في ذلك الكائن المخيف، الذي هوى على جسدها بلطمة أطارتها عدة أمتار لترتطم بالجدار وتفقد وعيها.

والتفت في حدة إلى منى التي سمرها الفزع وهي ترتجف كالمبتل في يوم شتاء عصفت به الرياح، أخرج الكائن حقنة غريبة الشكل وقربها

من جسد منى وسحب كمية من دمائها وضعها في قنينة زجاجية، ثم نظر إليها بعينيه الحمراوين ورفع يده اليمنى وبرزت مخالبها المخيفة، وكاد أن يهوي على رقبتها قبل أن يشق ذلك الشعاع جو الغرفة مرتطمًا بالكائن فدفعه عدة أمتار، راسمًا كرة دائرية مشتعلة بظهر الكائن قبل أن يطلق خوارًا غريبًا ويرتطم بالأرض جثة هامدة.

كانت السيدة رانيا قد استجمعت قواها والتقت نظراتها ومنى والتفتا تجاه الباب ليجدا شابًّا يمسك سلاحًا غريب الشكل، وقد ظهرت ملامحه الوسيمة واتسعت عيناهما في لوعة وعدم تصديق.

وهمهمت السيدة رانيا: مستحيل!!!

وخالطها ذلك الصوت المبحوح من منى وهي تقول:

- أبي!

الفصل الثامن

تحسست السيدة رانيا ملامح مروان في ذهول ولهفة، وجرت بيديها على قسمات وجهه وكأنها تريد أن تتيقن من أن الواقف أمامها هو زوجها الميت من عشرين عامًا، ثم هوت على وجهه بصفعة قوية وهي تنتفض في عنف مرددة عشرون عامًا وأنا كل يوم أتذوق الألم حزنًا، عشرون عامًا وأنت حي!

أطلقت تلك الصرخات الدموع من عيني منى وهي تقترب من أبيها وتتأمله وكأنها لا تصدق أن الواقف أمامها هو أبوها.

بدأت التساؤلات تعصف برأسها في قوة بعد أن زال أثر الظهور المفاجئ لأبيها، فانهارت فجأة على الكرسي المواجه لأمها شاردة بنظرها وشهقات الأم المتتالية تنصب على رأسها فتزيدها انفعالًا، لقد لاقت في الأشهر الماضية ما لا يستطيع بشري تحمله، ولو عاناه أعتى الرجال لانهارت خلاياه العصبية، وخرت راكعة متضرعة ليفتح لها باب الجنون على مصراعيه.

صمت مروان ليعطيهم وقتًا لاستيعاب ظهوره الغريب، وكيف أنه ما زال شابًّا على الرغم من مرور عشرين عامًا على موته المزيف.

كانت هناك آلاف الأسئلة تدور في جنون بعقل السيدة رانيا، وقلب منى، وهما تنظران إليه في حيرة يخالطها رجاء واضح.

قبل أن يفجر مروان قنبلته الباليستة العابرة لقارات الوعي والإدراك وسط هذا الصمت قائلًا في بطء كعادته في أول لقاء مع السيدة رانيا، وكأن هذا هو أسلوب حياة لديه:

- لست من كوكب الأرض!!

جحظت عينا السيدة رانيا في بلاهة وحدقت إليه وكأنها تنظر إلى مجنون هارب من مستشفى الأمراض العقلية.

والتفتت منى إلى عين والدها وهي تحاول أن تستوعب تلك الإجابة المباشرة والتي لا تتناسب بالفعل مع عادات البشري الذي يسعى دائمًا لإضافة بعض من رتوشه الكلامية على كل حديث ينساب من شفتيه.

واجه نظراتهما المستنكرة وهو يقول:

- أهالي الأرض لا يستوعبون وجود عوالم وحضارات؛ لذا كنا حريصين على إخفاء أنفسنا عنكم!

أغلب ما تعرفوه هي تلك المجرة الصغيرة المسماة (درب التبانة) أو (الطريق اللبني) تلك المجرة التي تحوي كوكبكم الصغير كوكب الأرض.

إنني من عالم موازٍ لكم، لنا نفس خصائصكم الجسدية والحيوية، يسمى كوكب (ريان)، كوكب مسؤوليته الأولى حفظ التوازن بين العوالم المختلفة بما أعطينا من تقدم علمي.

توقف مروان برهة ليرى قدرتهما على استيعاب ما يقوله، خاصة بعد أن نظرت إليه السيدة رانيا وقد انقلب وجهها في استنكار واضح ثم استطرد قائلًا في بطء شديد:

– كما إن من مسؤوليتنا حراسة ما يسمى لدينا بالبوابات الزمنية.

استوقفته السيدة رانيا صارخة:

لا بد أنك جننت تمامًا!

لم يلتفت إليها مروان وكأنه لم يستمع إليها قائلًا:

وهي بوابات استطاع علماء كوكب ريان أن يجدوها في العوالم الأخرى والعوالم الموازية التي تسمح بالانتقال بين المجرات والكواكب

بسرعة تفوق سرعة الضوء، وعلى الرغم من بعد الفكرة عن عقول أهالي كوكب الأرض إلا أن أحد علمائكم المعروف باسم أينشتاين قد وضع هذه النظرية، وإن كان لم يجعلها قيد التنفيذ فيما يسمى بنظرية النسبية والثقوب السوداء.

صمت مروان قليلًا وهو يرى نظرات الذهول بعيني السيدة رانيا والترقب الظاهر على منى.

وأكمل وهو يجلس جوار السيدة رانيا التي ما زالت لا تصدق أن زوجها كائن فضائي، ولم تشعر بذلك ولم تكتشفه قائلًا:

– لم أكذب عليك يومًا يا رانيا؛ فأنا بالفعل أعمل في المجال الأمني، فأنا أحد حراس هذه البوابات التي يحميها محاربوا كوكب (ريان)!

نظر إلى منى وهو يقول:

– كان من المحتوم رحيلي عن كوكب الأرض، لم يكن ابتعادي عنكم سهلًا، لقد فرقت بيننا قوانين كوكبي في عدم الاختلاط والارتباط بأهل الحضارات الأخرى التي نتولى مسؤولية حمايتها بسبب اختلاف العمر

السني بيننا وبينكم؛ فأنتم تشيخون سريعًا، فكل يوم لدينا يوازيه ما يقارب الشهر لديكم..

قاطعته منى في سرعة:

- وهذا يفسر أنك ما زلت شابًّا حتى اليوم على الرغم من كبر والدتي!!

أي إن العشرين عامًا لدينا بكوكب الأرض، لا توازي عامًا في عمرك، أليس هذا صحيحًا يا أبي؟

التفت مروان إليها مبتسمًا والسعادة تعلو وجهه لسرعة البديهة التي تملكها ابنته منى.

ثم التفت إلى رانيا التي هوت برأسها بين يديها لتخفي وجهها في ألم وعدم تصديق قائلًا:

- تم نفيي لاتصالي المباشر بأهل كوكب الأرض، ولم يكن يسمح لي إلا بساعة زمنية بوقتنا كنت أستغلها دائمًا في الاطمئنان عليكم وحمايتكم طوال فترة غيابي.

صمت قليلًا وهو ينظر إلى منى ثم أردف قائلًا في حنان:

– وكنت أرسل لكِ تلك الورود الوردية لتعلمي أن هناك من يرعاك ويهتم بك.

قاطعته رانيا في مرارة:

– وما هو شكلك الحقيقي؟

ابتسم مروان وهو ينظر إليها قائلًا:

– ليس كل الفضائيين غريبي الأشكال، إن كوكبنا موازٍ لكوكب الأرض، فكما قلت لكم هذه هي أشكالنا الحقيقية، ولكننا نسبقكم حضاريًّا ليس إلا.

قالت منى في حزن:

– وهل تلك الحضارة تجعلك تهجر ابنتك؟!

نظر مروان إليها صامتًا ثم أعطاها ظهره وواجه النافذة قائلًا في صمت: ماذا تعرفين عن قصر البارون يا منى؟

التقت عينا السيدة رانيا وابنتها منى في حيرة وقد أدهشهم السؤال الذي لا علاقة له بما يدور، فأجابت منى في حدة حائرة:

– وما علاقة هذا بسؤالي؟

طال صمت مروان ثم التفت إليها واقترب منها وهو يمسك ذراعيها في حنان ويتطلع لها قائلًا:

– لأجله تركتكم، وخوفًا على حياتكم وحياة كل الأرضيين يا ابنتي.

حدقت إليه منى في دهشة ثم تنحنحت وهي تتحرك بعيدًا عن أبيها وبطريقة مسرحية وكأنها تناست الموقف الغريب الذي تعيشه وهي تقول:

– قصر بني على يد المليونير البلجيكي (إدوارد إمبان) في مصر. حصل على لقب البارون من ملك فرنسا.

ثم استطردت في مهارة وقدرة عالية على استرجاع ما تعلمه وهي تكمل في صوت قوي:

– جاب كل البلاد وزار معظم بلدان العالم بطريقة غريبة شغوفة، ثم استقر في مصر واختار مكانًا غريبًا في صحراء مصر في وقتها لبناء ذلك القصر الضخم، بعد أن خططه له مهندس فرنسي يسمى (أليكساندر مارسيل).

نظرت إليها الأم في انتباه شديد وقد استرعتها هذه المعلومات المهمة التي لم تكن تعرفها عن هذا القصر.

استطردت منى في براعة:

– بنيَ به برج يدور على قاعدة متحركة دورة كاملة كل ساعة، ليتيح للجالس مشاهدة من حوله.

دارت حوله شائعات أنه قصر مسكون؛ لأن حوادث غريبة عدة حصلت به، ثم هناك أمر الأضواء التي تنطفئ ثم تضيء فجأة.

توقفت لتأخذ نفسًا طويلًا ثم تبتلع ريقها وهي تقول في انفعال:

– وقد شاهد المارة والجيران أكثر من مرة دخانًا كثيفًا ينبعث من غرفة القصر الكبيرة. ثم ظهرت نار شديد وانطفأت وحدها بعد فترة قليلة!

قاطعها الأب قائلًا وكأنه يضعها في امتحان معلوماتي:

– وماذا تعرفين عن أخته البارونة (هيلانة)؟

ردت منى سريعًا:

– إن البارون (إمبان) كانت لديه غرفة سرية مسحورة، حرم دخولها على ابنته التي ماتت منتحرة بعد موته، وأخته البارونة (هيلانة) التي ماتت مقتولة بعد أن وقعت من شرفة القصر أثناء دورانها.

تلك الغرفة السرية كانت تسمى الغرفة الوردية، وكان بها باب سري ممتد تحت الأرض حتى كنيسة (البازيليك) في مصر الجديدة، والتي دفن فيها بعد موته عام 1928.

صمتت منى وهي تلهث في قوة وكأنها قطعت شوطًا ضخمًا في مضمار للسباق وتركها الأب حتى هدأت أنفاسها.

وما إن بدأ في الحديث حتى قاطعته السيدة رانيا في حدة:

– وما علاقة كل ما قالته منى عن قصر البارون وما يحدث الآن؟ ثم من هذا الكائن الغريب الذي يتتبعني؟ وما تلك الأحلام المروعة التي تنتاب ابنتي منذ فترة؟

تطلع إليها مروان مجيبًا في لطف:

– تلك الأحلام ما هي إلا موروثات جينية ورثتها عني، كما إن بعضها كانت مجرد رسائل تحذيرية أنقلها عن طريق التخاطب التليباثي،

وهو انتقال الأفكار عبر التفكير بين بعض المخلوقات، وقد استطاع واحدًا من علمائكم أن يكشف عن هذا العلم عام 1882، وهو العالم (فريدريك مايرز) كما إن هذا حدث في أيام الخليفة عمر بن الخطاب في عصركم الإسلامي الزاهي في حادثة (يا سارية الجبل).

قاطعته السيدة رانيا في حدة:

إذن بهذه الطريقة التليباثية اللاأخلاقية استطعت أن تنقل صورتك إلى عقلي قبل الزواج، وجعلتني أقتنع بك وأتخيل أني أحبك!

- لن أجلس هنا للاستماع إلى قدرتكم الثقافية أنت وابنتك، كل ما أريده هو استيعاب ما يحدث هنا ومنذ البداية.

أكملت عبارتها الأخيرة في مرارة واضحة وبحة صوت وتلعثم دل على قرب انهيار أعصابها مع تلك المفاجآت المتتالية التي تعصف بقدرتها الذهنية بلا هوادة أو رحمة.

شعر مروان بما تعانيه رانيا من اضطراب فقال في هدوء:

- حسنًا نبدأ منذ بدء البداية!

* * *

تصاعدت خطوات عسكرية في بهو واسع ضخم وهي تتقدم من ذلك العرش الضخم الذي أحاط بجانبيه تمثالان ضخمان لطائر غريب الشكل، وقد تراص الحراس ليشكلو ممرًا ضيقًا عبره صاحب الخطوات العسكرية في ثقة وأحنى رأسه في احترام شديد وهو يلقي التحية على إمبراطور كوكب (ريان) بذلك العالم الموازي لكوكب الأرض.

أشار الإمبراطور بيده وهو يقول:

– اقترب يا ولدي.

شعر المحارب بخطورة الأمر الذي طلبه من أجله الإمبراطور، فلم يخاطبه والده الإمبراطور من قبل في قاعة الحكم إلا رسميًّا، فعلى الرغم من أنه ابن الإمبراطور؛ لكنهم شعب محارب بطبعهم، تولوا مسؤولية حفظ الأمن في العوالم المتجاورة التي تختلف شكلًا وحضارة، أو العوالم المتوازية التي تتشابه شكلًا وتختلف حضارة.

سأله الإمبراطور في بطء:

– ماذا تعرف عن كوكب (جاليوس) يا ولدي؟

رد المحارب في سرعة وصرامة:

- كوكب ضخم، يقع في العالم المجاور لدرب التبانة، يسكنه قوم غلاظ الجثة، حمر العيون، لديهم نهم للقتل واحتلال الكواكب الأخرى ونهب خيراتها..

رد الإمبراطور في أسى وضيق:

- لقد استطاع أربعة من محاربي كوكب (جاليوس) العدواني المخرب أن يخترقوا بوابة العوالم في أحد الكواكب المتأخرة عنا وعنهم بمئات السنين، كوكب بمجرة بعيدة بعالم درب التبانة يسمى كوكب الأرض.

قطب المحارب حاجبيه في قلق وقبضت يده على سلاحه في توتر قائلًا:

- وهذا يعني أنهم من السهل أن يفتحوا البوابة من ناحية كوكب الأرض، ولكنها البوابة الوحيدة بكوكب الأرض، وهي بتلك القارة السمراء في صحراء بلد تسمى مصر، وأنا أعلم أن محاربينا يحرسونها بشدة..

قال الإمبراطور في سرعة:

– لقد شددنا مراجعة تكنولوجيا تلك البوابة، وأمرنا أحد رجالنا المستقرين على كوكب الأرض أن يبني قصرًا ضخمًا فوق البوابة الوحيدة على ذلك الكوكب، متنكرًا باسم البارون (إمبان).

ولكن ليس مصدر قلقنا الوحيد هو عبور جيش بأكمله يا ولدي.

صمت قليلًا فرمقته نظرات ابنه في لهفة وهو يتطلع إليه في احترام فأكمل قائلًا:

– إن أربعة من الجاليوسيين في كوكب مثل كوكب الأرض يمكن أن يؤدوا إلى تدمير الكوكب تمامًا بما يحملونه من تكنولوجيا متطورة.

أو أن تقع تلك التكنولوجيا في يد بعض الدول التي يمكن أن تستوعب جزءًا منها فيفني البشريون أنفسهم بأطماعهم اللامحدودة، فيكفيهم ما دمرته حروبهم الداخلية.

ولعلك لاحظت كم الحروب الدائرة بينهم بلا رحمة أو هوادة للتحكم في موارد الطاقة والحروب التي ستقوم من أجل الفقر المائي المتوقعة خلال بعض العشرات من سنينهم الهزيلة.

أومأ المحارب وهو يؤكد كلام والده في سرعة قائلًا:

– أنا في انتظار أوامرك سيدي الإمبراطور.

قال الإمبراطور:

– لقد جهزنا لك غطاء وستارًا تحت اسم (مروان عطا) كي تتحرك بينهم بلا شك، ولكن احذر يا ولدي أن تختلط بأهل ذلك الكوكب، فكما قلت لك كوكب ليس من الأجدر أن يصطدم بتكنولوجيا تفوق نهمه للحروب والدمار. واحذر الجاليوسيين؛ فقوتهم الجسدية تفوقنا كثيرًا، واحمِ القلادة التي ستعبر بها إلى كوكب الأرض بحياتك؛ فهي أحد المفاتيح المهمة لتشغيل بوابات العبور بين العوالم.

تراجع المحارب بظهره في احترام ظاهر وهو يحني رأسه قائلًا: لا تقلق مولاي الإمبراطور، لن يعبر الجاليوسيون إلا على أشلائي.

ثم انصرف للبدء في مهمته.

قاطعت منى والدها السيد مروان في لهفة طفولية وهي تقول في سعادة:

– إذن أنا حفيدة الإمبراطور!

نظرت إليها الأم مستنكرة عبارتها التي لا تتناسب مع موقفهم السيئ.

قائلة وهي تعيد الالتفات إلى مروان في سرعة قائلة:

- ولماذا يتتبع الجاليوسيون هؤلاء ابنتي، وما علاقتها بالحروب الدائرة بينكم وذلك الكوكب صاحب الاسم الذي لا ينطق، كما لو أننا في فيلم هزلي للخيال العلمي!

رد مروان وهو ينظر إلى ابنته في فخر:

- إنها الوريثة العاشرة لامبراطورية (ريان) وتجري بدمائها الدماء الملكية، وهذا يتيح لها أو لمن يحمل دمائها مع وجود القلادة العبور والتحكم في بوابات العوالم أجمعها.

قالت منى:

وكيف تتبعني ذلك الكائن على الرغم من أني رأيته يقتل؟

رد مروان عليها سريعًا:

إنهم يتشابهون في التشريح الخارجي لجسدهم، فلن تلحظي الفرق، لقد تخلصت من ثلاثة منهم وتبقى واحد.

ونظر إليها في حنان قائلًا:

هل تذكرين تلك الأحداث في قصر البارون؟

ردت منى في حيرة:

نعم يا أبي.

قال مروان:

لقد كان أحدهم من هاجمك في تلك الساحة، وكاد يحصل عليكِ ولكني تمكنت من الوصول إليه في الوقت المناسب.

بدأت منى تسترجع أحداث ذلك اليوم المشؤوم، وقالت وهي شاخصة ببصرها، إذن الأصوات التي سمعتها كانت الاشتباك بينك وبين الجاليوسي.

ثم نظرت إليه حائرة وهي تقول:

ولكنك لم تكلمني يا أبي!

قال مروان باسمًا: لما صدقتني يا منى، كما إنك لم تكوني وحيدة، فكان من الصعب أن أكشف شخصيتي، خصوصًا أن الشرطة وزميلاتك على بعد خطوات منك.

قالت السيدة رانيا في حسرة لاذعة:

كان كل ما بداخلك تنفيذ واجبك وحماية ابنتك فقط!

- ثم تظهر وتختفي مرة أخرى دون أن ترحمني من عذاب الحزن عليك بعد موتك المزيف.

لم يستطع مروان الرد وهو يطأطئ رأسه إلى الأسفل مغمغمًا في خفوت:

- أنتم في القلب دائمًا، ولكن مصلحة كوكبكم هي مسؤوليتي الكبرى.

قالت منى في حزن:

- ستتركني بعد أن أعطيت لي الحياة مرة أخرى يا أبي؟!

قالتها وقد بدأت الدموع تلمع في عيونها.

فاقترب منها مروان وهو يحتضنها بقوة قائلًا:

- ستجدين أباك دائمًا حولك يا منى. ستجدين دائمًا تلك الزهور ذات القلب الأحمر تعلمك أن أباك بالجوار يا ابنتي، ولكن صدقيني هذا واجبي تجاه العوالم ولا أستطيع أن أحنث بقسمي.

ثم قاوم دمعة حاولت الهرب من أسوار عينيه لتنبئ رانيا وأمها عن حزنه.

ولكنه كمحارب صارم اعتاد على التحكم في مشاعره فقال وهو يقف محاولًا الإشاحة بوجهه بعيدًا قائلًا:

– هيا بنا، فإنه من الخطر البقاء هنا، فسرعان ما سيأتي الجاليوسي الأخير، إنهم متصلون ببعضهم البعض فكريًّا، ولكنهم لا يتحركون في جماعات، فيظهر الآخر حالما يفشل الثاني، كما إنه أخطرهم وأشدهم قوة ويتحرك حالما يفشل البقية.

وقفت السيدة رانيا وهي تشعر بالقلق على ابنتها مرة أخرى من كلام مروان عن ذلك الجاليوسي الأخير، فجذبت منى من يديها قائلة:

– هيا يا ابنتي، لا وقت لتجهيز حاجياتك.

سرعان ما تحرك الثلاثة مسرعين ليستقلوا سيارة السيدة رانيا.

وتولى مروان القيادة وهو يقول:

– لنا منزل آمن، إن بلغناه فلن يستطيع الجاليوسي الوصول إليكم!

وأدار مروان محرك السيارة وأشعل أنوارها لتشهق السيدة رانيا في عنف وتجحظ عيون منى، فالتفت أمامه ليجد ذلك الجاليوسي البشع

يقف رافعًا يده بسلاح يدركون مدى خطورته بالفعل بعد ما رواه مروان.

ولكن مروان أدار عجلة السيارة في سرعة ومهارة شديدتين وضغط على دواسة الوقود فاندفعت السيارة وكأن المقود في يديه قطعة من العجين شكلها في مهارة لتستجيب له السيارة في حنكة ومهارة.

تجاوزهم شعاع غريب اللون ليرتطم بالمنزل ويطيح بمدخله في قوة تدميرية غريبة.

اندفعت السيارة إلى الأمام مع ضغط الانفجار فزحفت بقوة وكادت أن تنقلب على جانبها وتعالت صرخات السيدة رانيا ومنى ومروان يتحكم في السيارة كما لو أنه أمهر سائقي سيارات السرعة، ولو جلس على مقود تلك السيارة (لويس هاملتون) نفسه بطل العالم في قيادة السيارات الخطرة لما تحكم بها وانقلبت رأسًا على عقب.

ولكن من الغريب أن أطاعت السيارة أطراف مروان لتستقيم فجأة وتصرخ عجلاتها وتنطلق في قوة وهو يتحرك حلزونيًّا ليتفادى الدفقة

الثانية من ذلك الشعاع المميت، وتحسس سلاحه تحت إبطه الأيسر والذي لم يمهله الوقت لاستخدامه مع الجاليوسي، وهو يجز على شفتيه بقوة، فلولا وجود منى ورانيا لوقف لمواجهة الجاليوسي فهو محارب (رياني) اعتاد على مواجهة ما هو أعتى من ذلك بكثير.

جاء صوت منى مضطربًا وهي تقول ملتفتة إلى الوراء: يبدو أننا فقدناه يا أبي، فلا أرى له أثرًا.

رد مروان وهو يتطلع إلى المرآة:

الجاليوسيون عنيدون يا ابنتي، ولن يوقفه عن إتمام هدفه إلا الموت، إنهم قساة القلب، أقوياء الجسد، لولا تطورنا العسكري لما استطعنا مجابهتهم.

لم يكمل مروان عبارته حتى اخترق شعاع قوي ذلك الطريق الخالي من السيارت في ذلك الشتاء القارص بطريق المقطم الملتوي كالثعبان ليرتطم بمؤخرة السيارة فتندفع السيارة إلى الأمام ثم تنقلب على جانبها الأيمن وتتحرك بسرعة القصور الذاتي حتى توقفت.

خرج الدخان كثيفًا من غطاء المحرك وارتطمت جبهة مروان بزجاجها الأمامي، وفقدت كل من السيدة منى ورانيا وعييهما بعد أن أصابت شظية من الزجاج المتطاير كتف السيدة رانيا، واصطدمت رأس منى بسقف السيارة، واقتربت خطوات الجاليوسي وانتشرت رائحة الموت.

الفصل الأخير

استيقظت منى وهي تشعر بطنين يسيطر على رأسها، وكأن هناك أسراب من البعوض الذي يستوطن عقلها.

ففتحت عيناها بثقل شديد وظلت برهة لا تستوعب شيئًا مما حولها.

وبصورة مهزوزة رأت جسدًا عملاقًا ينحني أمام آلة غريبة الشكل لها شاشة ضخمة خارجة من تجويف واضح بجدار ضخم تلون معظمه باللون الوردي.

بدأت الصورة تتضح أمامها وعقلها يرسل النبضات العصبية التي تتيح القدرة للإنسان أن يفسر ويستوعب ما يشكل ويصعب عليه.

ولم تكن بحاجة إلى ذكاء أو عبقرية لتفهم أنها الغرفة المسحورة الوردية التي كان إمبان يختلي بنفسه بها، أو هو ذلك المحارب الذي ينتمي إلى كوكب (ريان) مدعيًا أنه البارون (إمبان).

وأن الجاليوسي سيستخدم دمائها والقلادة لفتح البوابة لعبور الجاليوسيين.

خرجت منها آهة مكتومة لم تستطع أن تكتمها، فقد كان جسدها يئن من كثرة ما منيت به في الفترة الأخيرة، فالتفت إليها الجاليوسي بوجهه

المرعب وعيونه النارية التي ستظل تتذكرها مهما مر عليها من زمان، إذا قدر لها الله الحياة بعد يومها هذا!

بدأ الجاليوسي يغمغم بلغته الغريبة وهو يحدق إليها، لم تكن قادرة على فهمه، ورغم أن هناك لغة كونية هي لغة الموقف والإشارة لا تحتاج إلى تعلم أو فهم؛ بل يكفي فهم الموقف لتفهم ما يردد.

كل ما فهمته أنه يقول لها:

ستفتح البوابات الآن على دمائك، ثم تقدم منها وكشف ذراعيها في عنف فبدأت تنكمش رعبًا وكأنها تكاد تخترق جسدها لتختبئ فيه.

ورفع القلادة (الريانية) وهو يلتفت إليها في إجلال وكأنه يهنئ نفسه على ما وصل إليه.

تطلعت حولها في ألم فراعها جسد أبيها المسجي على الأرض في طرف الحجرة، وجسد أمها الهامد بلا حركة، وبدأت تبتهل إلى الله كي يكونا على قيد الحياة.

أعطاها الجاليوسي ظهره مرة أخرى وبدأ في وضع بعض قطرات من دمائها الساخنة على مسطح زجاجي متصل بتلك الآلة الغريبة، ثم قرب القلادة من تجويف دائري .

كانت منى تعلم أنه بوضع القلادة ستفتح بوابات جهنم عليهم، وستأتي قوافل تلك المخلوقات الغريبة لتبيد كوكبها عن بكرة أبيه.

فصرخت في غضب أنساها فزعها وهي تقول:

أنت أيها القبيح، لن تصمدوا معنا كثيرًا، فمهما اعتقدتم أنكم درستمونا فسندحركم بإيماننا.

كانت محاولة يائسة منها لجذب انتباه الجاليوسي وتأخيره، ولكن يد الجاليوسي توقفت بالفعل وهو يلتفت إليها في بطء، فانكمشت منى مكانها.

فاقترب منها في غضب وسرعة تاركًا القلادة بجوار آلة العبور بين العوالم، ورفع يده عاليًا وبرزت مخالب يديه الماضية وهو يهوي على عنقها بمخالب الموت.

فأغمضت عينيها في قوة لتسمع صوت ارتطام، لتفتح عينيها وتجد والدها ملتصقًا بالحائط وقد رفعه الجاليوسي بقبضة واحدة وأثار دائرة محترقة بكتف الجاليوسي، ويبدو أن والدها استيقظ وأطلق الأشعة على الجاليوسي، ولكنه لم يصب الهدف بدقة بسبب إصاباته المتعددة.

حاول مروان التملص من قبضة الجاليوسي، ولكن قوة الكائن الجسمانية تفوقه كثيرًا، وعلى الرغم من أنه هوى عليه بقبضته اليمنى، إلا أنها لم تحركه شبرًا واحدًا، أو أن تضعف من قوة قبضته التي قاربت أن تسلب روحه.

بدأت عينا منى تدور في الغرفة حتى وقعت عيناها على قطعة من الحديد المتآكل عراها الصدأ ملقاة على الأرض فأمسكتها وضربت رأس الجاليوسي بكل ما أوتيت من قوة.

التفت إليها الكائن في غضب تاركًا مروان يسقط من بين يديه فشهقت منى وبدأت تتراجع إلى الوراء، والكائن يتقدم منها في بطء وهوى عليها بمخالبه وهي لا تملك إلا أن تضع يديها الصغيرتين على وجهها تحاول أن تتقي تلك المخالب المميتة.

وهوت المخالب وأصابت هدفها هذه المرة.

انغرزت المخالب في صدر مروان عندما ألقى بنفسه في طريق تلك المخالب المخيفة ليحمي ابنته الوحيدة.

وفارت الدموع في عيون منى والجاليوسي يبتسم ابتسامة مخيفة أبرزت أسنانه الحادة، وهو يرفعه عاليًا ويواجهه في تشفٍّ وظفر وابتسامة غريبة تعلو شفتي مروان، والدماء تتدفق من فمه وهو ينظر في ما خلف الجاليوسي وهو يقول بصوت واهن:

الزر الأحمر!

توتر الجاليوسي وهو يرقب نظرات مروان فألقى مروان أرضًا وهو يلتفت في سرعة ليجد السيدة رانيا ممسكة سلاح مروان وهي تتلفت باحثة عن ذلك الزر الأحمر.

فهم الجاليوسي ما يدور في رأسها فتحرك سريعًا نحوها في شراسة وملامح الغضب على وجهه المخيف.

أغمضت السيدة رانيا عينيها وهي توجه فوهة السلاح وتضغط ذلك الزر ليشق سماء الغرفة المسحورة ذلك الشعاع ليرتطم مباشرة بصدر الجاليوسي فيلقيه أمتارًا إلى الخلف، فتشتعل دائرة نارية في صدره وهو يصرخ بفحيح غريب ثم خر جثة هامدة.

ألقت السيدة رانيا السلاح وهي تشهق في انفعال جارية إلى حيث ابنتها.

أما منى فأسرعت تحتضن أباها الذي بدأت أنفاسه تعلو وتهبط بصورة سريعة، والدماء تغرق شفتيه، وتطلع إليها وهو يبتسم واضعًا يده على صفحة وجهها وهو يقول:

أسرعوا بالخروج، ففي تواجد القلادة بالقرب من البوابة خطر شديد فقد يعبر بعض الجاليو....

لم يكمل عبارته وبدأ يسعل في شدة ومنى منكبة عليه وهي تقول في صوت محزون باكٍ:

لا يا أبي، لن أتخلى عنك، وبدأت تكرر العبارة فأغلق عينيه ليستجمع قواه قائلًا:

- دائمًا معكِ يا ابنتي، لن أتخلى عنك، ستجمعنا الحياة الأخرى، ولا تقلقوا على جسدي فمحاربي كوكب (ريان) سيأتون لأجلي، يجب أن يظل الأمر سرًّا.

غامت عيناه وبدأ جسده ينتفض بصورة غريبة، ثم سكن جسده ومنى تحدق إليه غير مصدقة أنه رحل عنها مرة أخرى، ثم ران صمت على المكان حتى ليسمع كل منهما دقات قلبه تعلو كل شيء.

أوقفتها السيدة رانيا قائلة:

- لا تجعلى تضحية أبيك تذهب هباءً يا منى، فمصير ملايين البشر يتوقف على بقائنا بجوار تلك الآلة المشؤومة.

ما أن أنهت عبارتها حتى بدأت تلك الشاشة الضخمة في التموج بشكل غريب، وبدأ القصر يطلق تلك الأصوات الغريبة والتي تشبه صوت تحرك الأثاث.

فشدت السيدة رانيا ابنتها في قسوة، ومنى تتبعها وعيناها معلقتان بالمجهول، وهي تصعد تلك الدرجات القديمة المتآكلة حتى وصلا إلى الطبقة الأولى، فبدأت الأصوات تخفت تدريجيًّا مع ابتعاد القلادة عن البوابة، حتى توقفت الأصوات تمامًا بانعكاس أول شعاع للشمس على وجهيهما لحظة خروجهما لساحة قصر البارون.

❋ ❋ ❋

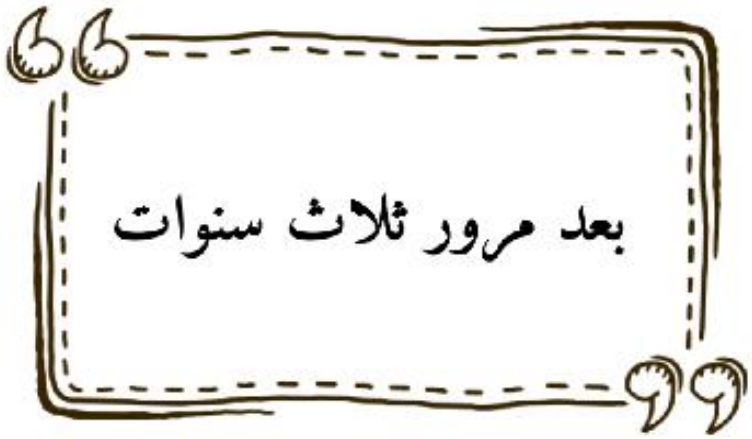
بعد مرور ثلاث سنوات

بدأ المدعوون يتوافدون إلى تلك الحديقة الصغيرة بفيلا السيدة رانيا وهي تستقبل الضيوف بابتسامة دبلوماسية اكتسبتها إبان عملها بالسياحة.

كان المدعوون ينظرون في سعادة إلى العروسين وهما يميلان بوجهيهما في علامة على غرام شديد.

وتقدمت هدى صديقتها الدائمة وهي تحمل باقة من زهور وردية ناظرة إلى خطيب منى في حيرة وبلاهة، وكأنها تتعجب من إذن يرسل لها تلك الزهور الغريبة إذا لم يكن خطيبها!

ما إن رأت منى الزهور حتى هبت واقفة سائلة هدى في حدة:

من أعطاك تلك الزهور؟

ردت هدى في توتر:

لست أعلم، أقصد رجلًا لا أعرفه أعطاني الزهور وانصرف مسرعًا.

جرت منى لمدخل القاعة في تلك الحديقة وعلى باباها لمحت ذلك الشاب الذي يلبس حلة سوداء بوسامته الشديدة وهو يلقي لها التحية فضمت يديها إلى قلبها.

ولاح شبح ابتسامة.

**تمت بحمد الله**

❋ ❋ ❋